الفصل العاشر

الإسهام الأهلي في تجاوز الركود الثقافي

ظلت الحركة الثقافية تعاني من الركود بعد قيام الجمهورية وانشغال الجميع بالدفاع عنها خلال سنوات الستينات. ولم يُعطَ للثقافة اهتمامٌ خاص. وظل المثقفون القليلون ممن تكونوا في الداخل فيما قبل الجمهورية يبحثون عن طريق خاص وعن بيئة مناسبة تسمح لهم بالعثور على أنفسهم، واختطاط طريقهم، وامتلاك القدرة على التفاعل مع الواقع الجمهوري الجديد، في حين لم يكن المثقفون القليلون الذين تكونوا في الخارج قد وجدوا بعد مكانا في الوضع الجمهوري الجديد. وكان الصراع السياسي والكفاح من أجل تثبيت الجمهورية والخوف عليها من السقوط تحت حوافر الضغوط والتحديات الهائلة يستغرق كل المشاعر وكل الجهود. وكانت الثقافة آخر اهتمامات السلطات الرسمية الغارقة في مواجهة الحرب الضروس والمعارضة القوية التي أبدتها القوى التقليدية في الداخل، والتي جعلت الجمهوريين يصطرعون فيما بينهم منذ الشهر الأول من عمر الجمهورية ولا يتوقفون للحظة للحوار مع بعضهم البعض، وتحديد أولويات تجمعهم معا للتصدص للحرب الشرسة على الجمهورية الوليدة ومواجهة التحديات الكثيرة وتحقيق الاستقرار والبدء بعملية التنمية المنتظرة.

وهكذا كان صدور أية مطبوعة ثقافية في عهد الجمهورية الأولى يعد حدثا ثقافيا مهما. وبثَّ صدور كتب تنطق باسم الثقافة الجمهورية الجديدة الفرحة في قلوب القراء الذين كان عددهم ما يزال محدودا. فاستقبلوا بفرح مجموعة مُحَمَّد عبدالولي القصصية "الأرض يا سلمى" أو كتاب "نظرة في تطور المجتمع اليمني" لسلطان أحمد عمر، على سبيل المثال، لأن هذه الإصدارات استجابت لحاجة القراء إلى منتج ثقافي يمني جديد يسد بعضا من الفراغ الذي يلمسه الجميع. كما أوضحت المجموعة القصصية "عمنا صالح" لمحمد عبدالولي أيضا أن طريق المبدعين لم تكن مفروشة بالورود وأن السجن أو التشريد قد ينتظرهم عند مفترق الطريق.

وقد أيقن مُحَمَّد عبدالولي أن طريقه محفوف بالمخاطر. فقرر أن ينذر نفسه، منذ خروجه من السجن سنة 1970، للبدء بتأسيس الجهد الأهلي للمساهمة في تطوير الثقافة، وبخاصة من خلال إصدار الكتب. فاشترى مطبعة كان يمتلكها أحد أصحاب الصحف الأهلية في عدن وأسس في تعز دار نشر أسماه "الدار الحديثة للطباعة والنشر" وبدأ بإصدار الكتب. ومن بواكير إصداراته مجموعتان شعريتان رائدتان في مجال الشعر الحديث أو الشعر الحر، تستدرك بهما حركة الشعر في اليمن تأخرها عن مواكبة الشعر الحر في الثقافة العربية، الأولى مشتركة لعبده عثمان وعبدالعزيز المقالح، بعنون "مارب يتكلم"، أقدَمُ قصيدة مؤرخة فيها كتبها عبده عثمان سنة 1957 بعنوان "أسئلة عن ذي نواس"، والثانية في العام نفسه بعنوان "عودة ذي يزن". والمجموعة الشعرية الأخرى لعبدالعزيز المقالح بعنوان "لا بد من صنعاء"، وتم طبع هاتين المجموعتين الشعريتين سنة 1971. كما طبع مسرحية مُحَمَّد الشرفي "حريق في صنعاء".

وفي الفترة نفسها أصدر المثقف اليساري الآخر يحيى عبدالرحمن الإرياني صحيفة أسبوعية في تعز تحمل تسمية "الحقيقة"، كانت تصدر عن هم ثقافي دفين وعن شعور بأن النشاط الثقافي في اليمن ينبغي أن يبدأ بالإقلاع بعد أن تحقق شيء من الاستقرار بعد المصالحة بين اليمن وجيرانها، تلك المصالحة التي وضعت نهاية لحرب الدفاع عن الجمهورية. فقد كانت استراتيجية الجيران الذين دعموا القوى الملكية لشن حرب هدفها إسقاط الجمهورية قد تغيرت بسبب تغير الظروف السياسية والاستراتيجية في اليمن حين كانت القوى التقليدية العربية في شبه الجزيرة العربية قد وجدت أن المعركة بين الملكيين والجمهوريين قد أصبحت من الماضي، وأن طبيعة الصراع في اليمن قد تغيرت بعد انتصار الجمهورية في الشمال ونيل الاستقلال في الجنوب. وكانت الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل التي تسلمت الحكم في الجنوب بُعيد الاستقلال تحمل في داخلها بذور مشروع يساري مغاير للأوضاع التقليدية في الشمال وفي شبه الجزيرة العربية، مما استدعى أن تغيِّر القوى التقليدية العربية، وبخاصة في الخليج، استراتيجية المواجهة في اليمن وتعطي الأولوية لمواجهة المشروع اليساري في عدن، واعتبرت أن النظام في صنعاء يمكن أن يكون حليفا لها في معركتها الجديدة ضد اليسار العربي، وبخاصة في جنوب اليمن.

فاستغلت القيادة السياسية للجمهورية الثانية هذا الوضع الجديد ووظفته لصالح حصول المواطن اليمني على امتيازات تجعله مساويا للمواطن السعودي في حق العمل وممارسة التجارة، فكان هذا مقدمة للطفرة الي شهدتها تحويلات المغتربين اليمنيين بعد ارتفاع أسعار النفط عقب حرب 1973 بين العرب وإسرائيل.

شعر بعض المثقفين اليمنيين أن الجانب الثقافي كان الجانب المنسي من هموم التنمية الاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة. من هنا جاءت محاولات مُحَمَّد عبدالولي إنشاء دار نشر في تعز ويحيى عبدالرحمن الإرياني إصدار صحيفة سياسية ثقافية تعطي الأولوية للإنتاج الثقافي، وهي الصحيفة التي قرأتُ فيها لأول مرة موضوعا مهما لأبوبكر السقاف بعنوان "ملاحظات حول المركزية الأوربية في الفلسفة" وأحسست وأنا في بداية تطلعي للقراء والمعرفة أنني أقرأ لأول مرة لكاتب يمني مختلف يملك مؤهلات ثقافية غير معتادة لدى غيره من المثقفين اليمنيين.

لكن للأسف لم تترك القوى التقليدية اليمنية لهذه الصحيفة فرصة مواصلة الصدور. فقد استغلت كون صاحب الصحيفة ابن رئيس المجلس الجمهوري وضغطت على والده لإيقاف الصحيفة بحجة أن الرئيس الإرياني، الذي كان معروفا بكونه رجل دين مستنير، يشجع ابنه لنشر أفكار علمانية ويسارية، وهكذا فقد فضل الرئيس الإرياني، تجنبا للاعتراضات والإحراجات، إبعاد ابنه ليكون مستشارا ثقافيا في موسكو ومن ثم توقفت الصحيفة.

وفي الوقت نفسه، لم تُصدِر الدار الحديثة للطباعة والنشر إلا بعض الكتب واضطر مُحَمَّد عبدالولي تحت ضغط القوى التقليدية داخل السلطة وخارجها إلى مغادرة الشمال إلى عدن والعمل في السلك الدبلوماسي قبل أن يفارق الحياة في سقوط طائرة وعمره نحو أربعة وثلاثين سنة.

مجلة الكلمة

كانت وطأة هذا الفراغ الثقافي ثقيلة على نفوس المثقفين اليمنيين في تلك الفترة. وكان الجميع يلمس هذا النقص ويتمنى زواله، لأنه أصبح أحد الهموم التي تورق المثقفين والمتعلمين. وكان الجميع ينتظرون البدء بأية مبادرة تحرك المياه الراكدة وتتجاوب مع الرغبات المشروعة، وتستجيب للحاجة الماسة إلى البدء بالإنتاج الثقافي.

ومن هنا بادر مثقف يساري[219] هو مُحَمَّد عبدالجبار سلام بإصدار مجلة أهلية في الحديدة سماها "الكلمة"، متأثرا بالمجلات المصرية مثل الكاتب والطليعة اللتين كانتا ميدانا لممارسة المثقفين المصريين لحقهم في الكتابة والاهتمام بالشأن الثقافي العربي وبالترجمة. ومراعاة للظروف الواقعية الصعبة التي تصدر فيها المجلة اختارت لنفسها شعارا عاما هو "مجلة شهرية جامعة"، لتسهيل الحصول على مواد مكتوبة ولتوسيع دائرة القراء ليسهموا في تمويل صدروها المنتظم. ومع كون مُحَمَّد عبد الجبار صاحب امتياز إصدار المجلة، تولى عبدالباري طاهر منذ العدد الخامس إدارة التحرير وساهم في تحمل مسئوليتها والإشراف عليها. وظهرت في البداية متواضعة من حيث الحجم والإخراج.

وقد صدر العدد الأول منها في شهر ديسمبر 1971، وبدأت تستكتب من استطاعت من الشعراء والنقاد والكتاب والصحفيين اليمنيين. وبمساعدة من عمر الجاوي تم شراء مطبعة من عدن تعمل بالرص اليدوي، تملكها "الجبهة الوطنية المتحدة" ورئيسها مُحَمَّد عبده نعمان الحكيمي (الذي وقف عند الاستقلال إلى جانب "جبهة تحرير جنوب اليمن

---

[219] بدأ محمد عبدالجبار سلام حياته السياسية بعد قيام الجمهورية ناشطا سياسيا في حركة القوميين العرب، وفي أواخر ستينات القرن العشرين اقترب من بعض العناصر اليسارية في الحديدة التي بدأت بتجمع بسيط أسمته "حزب العمال والفلاحين"، ولكنها بتأثير من شخصية عمر الجاوي القوية الجذابة أسست "حزب العمل" الذي اندمج في النصف الثاني من السبعينات بحزب الوحدة الشعبية، فرع الحزب الاشتراكي اليمني في الشمال. وقد انتفت الحاجة لتسمية "حزب الوحدة الشعبية" بتحقيق الوحدة اليمنية في 22 مايو 1990 وعمل الحزب الاشتراكي على مستوى اليمن كلها. لكن محمد عبدالجبار، كما يبدو، ابتعد عن العمل الحزبي في الثمانينات وإن ظل بصورة عامة قريبا من اليسار.

المحتل" في صراعها المسلح مع "الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل" وخسر المعركة واستقر في الشمال مع من نزح من معارضي الجبهة القومية).

ويعلن العدد الأول من المجلة الطموح الكبير لأن يكون لها أثرٌ "في درء الموت، ولأننا مؤمنون أن معركتنا الاجتماعية في جوهرها لا تخرج عن كونها مواجهة حقيقية مع الموت المتمثِّل... (في) التخلف، الجهل، الجوع، القهر، إلى آخر ما في قائمة الواقع" من تحديات. ويُعتقد أن عمر الجاوي هو من كتب هذه الافتتاحية، لأن المجموعة اليسارية التي تقف وراء إصدار المجلة كانت تهتدي بأفكاره.

وفي ذروة الطموح بدأ مُحَمَّد عبدالجبار بإصدار صحيفة أسبوعية باسم "الخضراء"، وهي تسمية تجدد بطريقة غير مباشرة محاولة أحمد مُحَمَّد نعمان في نهاية الثلاثينات إصدار صحيفة في القاهرة، وتتشابه مع حرص عمر الجاوي على تسمية المجلة الصادرة باسم اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين "الحكمة" تجديدا للحكمة القديمة التي أصدرها المستنيرون في صنعاء في أواخر ثلاثينات القرن العشرين.

لكن بعد صدور أعداد قليلة اتضح أن ليس بالإمكان نجاح صحيفة "الخضراء" الأسبوعية في وسط محدود مثل الحديدة، ولا حتى في البلاد بشكل عام، إذا لم تكن مدعومة من الحكومة، فتوقفت الصحيفة بعد فترة وجيزة من إصدارها. وبسبب ندرة الكتابة المحلية وقلة ما يتم ترجمته من مواد وجَدَت مجلة "الكلمة" صعوبة في الانتظام بالصدور مع أنها أعلنت منذ البداية أنها ستكون مجلة شهرية.

ومن الطبيعي أن استمرار صحيفة مثل "الكلمة" يعتمد ليس فقط على استمرار تغذيتها بالمادة المكتوبة التي تتفق مع ما تريد من مستوى ثقافي تقدم نفسها به للقراء، بل أيضا على القدرة على تمويل نفسها بنفسها. فهي على كل حال مشروع ثقافي تجاري غامَرَ بإصداره صحفي مهتم بالشأن الثقافي ولا يمتلك ثروة يستطيع أن يوظفها لاستمرار المجلة ويكتفي بالسمعة الحسنة لصاحب المشروع، كما كان الحال مع بعض الأسر في الخليج، وبخاصة في الكويت، التي كانت تُصدِر صحفا تنفق عليها ولا تهتم بموضوع الربح والخسارة.

وقد تسامحت المجلة مع نشر الإعلانات التجارية على الرغم من أن الصحف والمجلات اليسارية كانت تعتمد مبدأ عدم اللجوء إلى نشر الإعلانات للترويج للمواد الاستهلاكية وللشركات الرأسمالية. ومع ذلك كانت الإعلانات التي نشرتها محدودة وكان سوق الإعلان

ذاته محدودا وخاضع للتوجهات السياسية والأيديولوجية للمعلنين، وأحيانا يكون وسيلة للتدجين وللتأثير على سياسة التحرير. وقد كان تأثير الإعلانات على تمويل المجلة ضئيلا. وكان عليها أن تحصل على اشتراكات كافية من الأفراد والمؤسسات تسمح لها بمواصلة الصدور وتغطية تكاليف الإصدار. لكن ذلك لم يكفها فسخَّر الناشر المطبعة التي اشتراها وأسس "مطبعة دليل اليمن للطباعة والنشر" لطبع مواد تجارية مطلوبة في السوق لتوفير دخل يسمح بقدر الإمكان بتغطية النفقات. ولحسن حظ الصحيفة، كان جميع كتابها متطوعين يكتبون دون مقابل. واكتفت بعدد قليل من العاملين، وتولَّى رئيس تحريرها مسئولية الإدارة والبحث عن اشتراكات من الأفراد والمؤسسات التجارية والعامة. وساعده مدير التحرير في متابعة جمع المواد وطبعها.

لكن بمرور الأيام عجزت "الكلمة" عن الاستمرار، وبخاصة مع سفر رئيس التحرير إلى الخارج للتأهيل العالي في مجال الصحافة.

وحين كان إبراهيم المقحفي طالبا في كلية الإعلام في القاهرة أراد أن يصدر مجلة أدبية في وقت كانت فيه "الكلمة" متوقفة، فنصحه بعض المثقفين بأن يتفق مع صاحب امتيازها للحصول على حق إصدارها باعتبارها مجلة ثقافية موجودة وكان لها حضور نسبي، وبخاصة في أوساط المثقفين اليمنيين. وقد عمل المقحفي بهذا الاقتراح وبادر للاتفاق مع ناشر "الكلمة" على إصدارها مع المحافظة على اسم مُحَمَّد عبدالجبار باعتباره صاحب الامتياز وأن يكون المقحفي رئيس التحرير، وتغيَّر شعارها من "مجلة شهرية جامعة" إلى "مجلة المثقفين اليمنيين" بهدف كسب تعاون المثقفين اليمنيين في الكتابة للمجلة. وهكذا عادت المجلة سنة **1974** بهيئة تحرير مكونة من زبدة المثقفين اليمنيين في تلك الفترة وهم كالتالي:

د. أبو بكر السقاف الذي كان حينذاك أستاذا مميزا للفلسفة في جامعة صنعاء،

وعبدالعزيز المقالح الذي كان منذ تلك الفترة قد بدأ يحتل مكانة تزداد أهميتها في الوسط الثقافي اليمني والعربي،

وعمر الجاوي الذي كان حينذاك رئيس تحرير مجلة "الحكمة" الصادرة عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وأمين عام الاتحاد.

وصالح الدحان، الصحفي متعدد المواهب الذي بدأ حياته الصحفية في مستعمرة عدن في الخمسينات ونشر هناك في سنة 1957 مجموعته القصصية الوحيدة بعنوان "أنت شيوعي".

وعبدالودود سيف، الشاعر الموهوب الذي ساهم في تعميق مسيرة الشعر الحر في اليمن وكان في تلك الفترة قد أصبح صحفيا يمنيا بارزا وناقدا أدبيا مؤهلا،

وأحمد قاسم دماج المثقف العضوي والشاعر الذي سيصبح فيما بعد رئيسا لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين لعدة دورات انتخاب،

وعبدالباري طاهر، المثقف البارز والناقد الأدبي والصحفي الأشهر الذي سيتولى منصب نقيب الصحفيين اليمنيين لعدة دورات.

ومُحَمَّد عبدالجبار، نفسه، الصحفي الذي احتفظ بكونه صاحب امتياز إصدار المجلة.

والواقع أننا لو بحثنا عن هيئة تحرير لأية مجلة ثقافية يمنية في تلك الفترة فلن نجد أفضل ولا أكفأ من هذه الأسماء.

ومن استعراض أعداد المجلة بعد هذا الترتيب لصدورها الثاني، يتضح أن مشكلة توفير المواد الثقافية التي تكفل انتظام صدور المجلة والمحافظة على مستواها الثقافي ظلت قائمة. وقد لجأ إبراهيم القحفي إلى التعويض عن هذا النقص عن طريق الاستعانة بمواد لكتاب مصريين وبما يترجمه بعض المصريين من مواد، بعضها تقدم مفاهيم أدبية وفنية مترجمة يمكن للمثقفين اليمنيين، وبخاصة لطلبة الجامعة الذين بدأت أهميتهم في تلك الفترة تزداد، أن يستفيدوا منها في تثقيف أنفسهم وفي دراساتهم وكتاباتهم.

وظلت مشكلة تمويل الصدور قائمة. ولم يكن بالإمكان الاعتماد على الإعلانات والاشتراكات، لأن الإعلانات محدودة ومحكومة سياسيا، ولأن اشتراكات الأفراد كانت قليلة، وكان المثقفون اليمنيون، وأغلبهم فقراء، يكتفون بتزويد المجلة بما يكتبون مجانا. وكان اشتراك المؤسسات العامة محدودا ومحكوما سياسيا ووسيلة للتطويع والترويض. وفي النهاية واجهت المجلة نفس المعضلة التي واجهتها عندما كان يصدرها مُحَمَّد عبدالجبار وتوقفت عن الصدور.

وإلى جانب إصدارها وضعت في هذه الفترة مشروعا لإصدار الكتب وسد بعض الفراغ الكبير في مجال الصناعات الثقافية، فطبعت بعض الكتب الجديدة أو أعادت طبع بعض الكتب الصادرة فيما مضى؟

وهكذا أراد إبراهيم المقحفي ل–"الكلمة" في فترة الصعود أن تتطور إلى دار نشر، فبدأ بإصدار سلسلة من الكتب بعنوان "كتاب الكلمة"، مستعينا ببعض المتحمسين لهذه السلسة في المؤسسات العامة مثل جامعة صنعاء ووزارة الإعلام والمساهمة في شراء مئات من النسخ من كل كتاب يطبعه بسعر تشجيعي لمساعدته على استمرار الصدور. وهذا حل مباشر ييسر اتخاذ القرار. لكن شراء النسخ الكثيرة بسعر تشجيعي يتحول مع مرور الأيام إلى لغم وإلى نوع من المصادرة بحيث لا تحقق المطبوعة المعنية ما تصبو إليه من الوصول إلى أيدي قراء مهتمين لتحقق الفائدة المرجوة ونشر القراءة وخلق جمهور واسع للكتاب.

وقد كان بعض المثقفين المسئولين عن مؤسسات عامة يحاولون إقناع من يصدر كتابا بألا يسمح بتجميد عدد كبير من النسخ في مخازن الوزارات والمؤسسات العامة، لأنها ستكون في حكم التالف ولن يلتفت لها أحد، إذ لا يدخل هذا في صلب عمل تلك المؤسسات، ومن الأفضل للكاتب أن يبقى الكتاب في متناول القراء ولو لفترة طويلة خير من سجنه في مخازن مغلقة لا يخرج منها أبدا. لكن البعض يفضل استرجاع تكاليف الطبع على حساب الانتشار. وهذه معضلة لا يحلها إلا اتساع سوق الكتاب وكثرة الإقبال عليه وزيادة التوزيع ليحصل الكاتب على ما يعوضه عما يخسر من تكاليف الطبع، وعندما يتسع التوزيع ويزداد طلب القراء على الكتاب ستقوم دور النشر بمهمة التمويل ومكافأة الكُتَّاب والمترجمين، ولن يحتاج الكاتب والمترجم إلى أسعار تشجيعية من مؤسسات تقوم بما يشبه مصادرة الكتاب وإخفائه عمليا.

وقد صدر من سلسلة كتاب الكلمة خلال النصف الثاني من السبعينات نحو عشرين عنوانا أغلبها إحياءٌ لكتب تراثية إما لم تطبع أو طبعت في الماضي ونفدت نسخها المطبوعة. وكان نحو نصفها كتابات جديدة لكن أغلبها يتناول التراث أيضا في حين أن الدراسات الحديثة والإبداعات قليلة، وغاب عنها تماما الإبداعات الشعرية والقصصية والفنية الجديدة[220]. وهذا يعكس حالة القحط الثقافي الذي كان ما يزال يفرض نفسه على تاريخ

---

[220] نورد هنا قائمة بمطبوعات كتاب الكلمة، والكثير منها إعادة طبع بعد أن نفدت الطبعات السابقة:

. إبراهيم المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية

. أبوبكر السقاف، دراسات فكرية وأدبية،

اليمن المعاصر على الرغم من المحاولات هنا وهناك لكي تتجاوز الحركة الثقافية اليمنية السير البطيء نحو ازدهار الإبداع والإنتاج الأدبي والفني، والثقافي عموما.

لكن مُحَمَّد عبدالجبار، باعتباره صاحب الامتياز، استعاد إصدار المجلة سنة 1979 لتصدر فصلية (كل ثلاثة أشهر) بهيئة تحرير مكونة من أبو بكر السقاف وعبدالعزيز المقالح وأحمد قاسم دماج، وصالح الدحان، وعبدالودود سيف، وعبدالباري طاهر، وكاتب هذه السطور، مبقيا على إبراهيم المقحفي عضوا في هيئة التحرير. وعلى الرغم من بدايتها القوية من حيث المواد المنشورة، تجددت مشكلة التمويل التي تواجه كل إصدار ثقافي. وقد حاول مُحَمَّد عبدالجبار التوسع في نشر الإعلانات في المجلة، وهو قرار يعكس توجها سياسيا جديدا مفارقا للبداية التي استندت إليها المجلة في بداية إصدارها. ومن الطبيعي أن أكثر الإعلانات

. نفسه، كتابات

. أحمد حبيب رسول، دراسات في الجغرافية الاقتصادية والبشرية لليمن (الشطر الشمالي)

. الأشرف الرسولي، طرفة الأصحاب

. حمزة لقمان، تاريخ القبائل اليمنية

. عبدالحميد إبراهيم، تاريخ القصة اليمنية

. عبدالرحمن الآنسي، ترجيع الأطيار، تحقيق القاضي عبدالرحمن الإرياني

عبدالله الثور، هذه هي اليمن

. عبدالله الشماحي، اليمن . الإنسان والحضارة

. علي محمد زيد، معتزلة اليمن . دولة الهادي وفكره

. علي محمد عبده، حكايات وقصص من تاريخ اليمن

. عيسى بن لطف الله شرف الدين، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح

. كلودي فايان، كنت طبيبة في اليمن

. لطف الله جحاف، درر نحور العين

. محمد بن أحمد الشلي، السناء الباهر في أخبار القرن العاشر

. نفسه، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر

. محمد محمود دحومة، دراسات في الشعر والمسرح اليمني

. محمد يحيى الحداد، التاريخ العام لليمن

. نشوان بن سعيد الحميري، ملوك حمير وأقيال اليمن

. نفسه، منتخبات في أخبار اليمن

كانت من مؤسسات عامة تسيطر عليها الدولة أو من منشآت خاصة تسير في الاتجاه السياسي للحكومة، وهذا ما حدد طبيعة الإعلانات وجعل المجلة تبتعد عن بعض قرائها السابقين وعن بعض المشاركين الأساسيين الذين عايشوها وتحمسوا لها منذ بداياتها. وهو ما اضطرها في النهاية إلى عدم انتظام الصدور حتى توقفت تماما.

مجلة "الحكمة" الجديدة

تُعدُّ مجلة ""الحكمة، الصادرة عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، الأداة الثقافية المعبِّرة عن الاتحاد والحاضرة في النفوس وفي الأذهان إذا غاب الاتحاد لأي سبب أو في فترات سباته. ولعل هذه المجلة من أهم إنجازات الاتحاد خلال ما يزيد على أربعة عقود، لأنها نجحت في أن تكون صوت الوطن العالي في الأزمات الكثيرة التي عصفت به، وظلت قادرة على التحليق فوق عوامل الفرقة والارتداد عن هموم الإنسان اليمني، ورفع راية اليمن الحلم المتجاوز لعلامات الانحطاط التي تعيد إحياء التعصب القبلي والعنصري والمناطقي وتبث الكراهية وتنأى باليمنيين عن التضامن الإنساني فيما بينهم لبناء حاضرهم ومستقبلهم. لقد عبرت عن أنبل ما في اليمن من مشاعر ومن تسامي فوق الصغائر، وتجاوز ما يشد البلاد نحو الانحطاط والغياب. ولذلك ستظل الحكمة معلما بارزا من معالم الثقافة الجمهورية والإبداع الإنساني النبيل، يتذكر اليمنيون ما أنجزت، وما أطلقت من دعوات، وما أعلت من قيم إنسانية يحتاجون إليها في لحظات التيه ليتجنبوا الغرق في استدامة التخلف.

ومن المهم الإشارة إلى الدور الكبير الذي قام به المثقف التقدمي عمر الجاوي في إعادة إصدار "الحكمة"، وحرصه على أن تكون امتدادا لما بدأه المستنيرون الأول، وفاء لهم، وتكملة لمسيرة التغيير التي تمنوها وحاولوا البدء بها ودفعوا في سبيلها أرواحهم. فقد كان الجاوي، بما عرف عنه من نشاط وحيوية وجاذبية شخصية، وما يمتلك من تفتح ثقافي عميق، محركا لنشأة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين وإصدار الحكمة، مما جعل الاتحاد حامل لواء التحديث والتنمية والدفاع عن حقوق الإنسان حتى تحققت الوحدة وما رافقها من تعددية سياسية وصحفية ودعوة إلى تحقيق الديمقراطية والمواطنة المتساوية. وهو دور سيظل الاتحاد يفخر به، ولا قيمة ثقافية للاتحاد بدون هذا الدور الحضاري الإنساني النبيل.

وإلى جانب كون "الحكمة" صوت الاتحاد، أراد الجاوي الذي تولى رئاسة تحريرها خلال فترة طويلة، أن يجعلها صوت المثقفين الحضاري النبيل، ونجح في أن يبث من خلالها صوت التنوير، وأن يحمل معه الرؤية التي تضمنها بيان "المؤتمر الدائم للطلبة اليمنيين في مصر" الصادر سنة **1956**. وهو بيان يدعو إلى تظافر جهود اليمنيين للعمل من أجل تحرير

أنفسهم من الإمامة في الشمال ومن الاستعمار البريطاني في الجنوب والعمل لتحقيق وحدة اندماجية تشمل اليمن كلها على أساس من المساواة والحرية والعدالة لجميع اليمنيين بلا استثناء. وظل الجاوي متمسكا بهذا المفهوم الوحدوي الناتج عن اندماج شطري اليمن حتى النهاية، وشارك في جميع لجان الوحدة وفي كل النشاطات الوحدوية وفي تخفيف أجواء التوتر بين الشطرين حتى تحققت الوحدة فعلا في 22 مايو 1990.

ولم يكن اختيار اسم "الحكمة" صدفة، بل يرمز إلى مواصلة هذه المجلة الجديدة لدعوة التنوير التي حاولت الحكمة القديمة بثها في أواخر ثلاثينات القرن العشرين. وكانت الحكمة الجديدة في الواقع منبر الجاوي الذي جعله حاضرا في قيادة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين وفي الحركة الثقافية اليمنية والعربية. لقد كان حامل لوائها ومحركها والقطب الذي يدور من حوله كل من عمل في المجلة حتى حين تضطره الظروف للابتعاد عنها. كان حضوره الثقافي والسياسي طاغيا، وصوته الوطني والإنساني عاليا، وكانت الحكمة توأم روحه وأداته النضالية وصوته المميَّز داخل الاتحاد، وحاملة مشروعه الثقافي والوحدوي، ووسيلته لحشد أعضاء الاتحاد وأنصاره من حول قضايا الثقافة والنهضة ورفض استدامة التخلف. وواصلت المجلة حتى في غيابه السير على هدى ما وضع من علامات الطريق، لتقوم بدور الموحِّد لليمنيين في الكفاح من أجل إرساء القيم النبيلة ورفض عوامل الفرقة والتمزق وضيق الأفق والانحطاط.

لقد كان الجاوي فريدا في مواقفه، ومتميِّزا في حركته السياسية. ظل خارج الأحزاب كلها وفوق الحزبية بمعناها الحرفي وقريبا منها. يجد نفسه في مجلة "الحكمة" وفي اتحاد الأدباء والكتاب أكثر مما يجد نفسه في أية حركة سياسية. بهما يرى نفسه قادرا على التأثير في الأحزاب كلها، يقترب منها جميعا وينفر منها في الوقت نفسه. وكانت "الحكمة" والاتحاد السفينة التي يعبر بها أمواج بحر السياسة اليمنية المضطرب، ويحتفظ لنفسه ولهما بهامش للحركة في كل الظروف. لا يقبل أن يوظَّفا لخدمة أي مشروع حتى لو كان من المساهمين في صياغته.

وقد عبَّرت افتتاحيات "الحكمة" عن الصعوبات العملية التي تواجه أي مجلة في تحديد خطها السياسي وسياستها التحريرية والمستوى الرفيع الذي تريد أن تحافظ عليه ولا تتنازل عنه في كل الظروف. ولأنها كانت مجلة تعتمد على ما يسهم به أعضاء الاتحاد الناشطون في الحقل الثقافي، وتتنافس مع الصحف والمجلات الرسمية في حكومتي "شطري اليمن"، كانت

تصلها مواد من المساهمين المتطوعين لا تلتزم دائما بالمعايير النظرية التي حددتها لنفسها. وكان الحل الذي ارتأته "الابتعاد عن الالتزام للقارئ" ونشر جميع ما يصلها على أن تترك لهذا القارئ الحرية "ليستخلص بنفسه نوعيتها واتجاهها وأسلوبها"[221]، بمعنى مباشر، تقوم بنشر المواد المتنوعة وتدَع للقارئ أن يصنّفها كما يريد.

وكان من المتوقَّع أن تعلن المجلة على لسان رئيس تحريرها منذ افتتاحية العدد الأول التزامها بالدفاع عن وجهة نظر الأدباء والكتاب القائلة إن المثقفين اليمنيين حتى في عهود الظلام قد شاركوا في الإنتاج الثقافي العربي ولم يقصّروا أو يتخلفوا عن بقية الأدباء العرب. وتنتقد الافتتاحية الأدباء العرب الذين "لم يتوخوا الموضوعية في تقديم الأدب اليمني الحديث ووضعه في موضعه الصحيح"، مشيرة إلى أن "الدفاع عنه قد خرج عن حدوده إلى اتجاه آخر في الرد على الدكتور طه حسين أحيانا أو تقريع (الشاعر المصري علي) الجُندي الذي قدم ديوان البردوني (من أرض بلقيس)".

ولتوضيح هذا الغموض الذي تحتوي عليه هذه الفقرة تقول المقدمة إن الأدب العربي في اليمن قد واكب "الأدب العربي في كل الأقطار العربية وخارجها (أدب المهجر). فقد وُجِد في اليمن شعراء يحاكون المجددين في الشعر العربي أمثال (محمود) سامي البارودي، كما وُجِد الرومانتيكيون وأدباء ما يسمى بالواقعية الجديدة، على نطاق الشعر والقصة القصيرة ومقال النقد الأدبي. وطبيعي أن هذا الإنتاج قد تأثر بالأدب العربي، إلا أنه لم يكن نقلا حرفيا، ولا محاكاة سطحية وإنما تأثر بالاتجاهات الحديثة في العالم العربي باعتباره أدب موجود (أدبا موجودا) بالفعل نشأ أولا وأخيرا في تربة اليمن وترعرع في مدارسها الأدبية في صنعاء وزبيد وحضرموت طوال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"[222].

وهكذا تمضي الافتتاحية في عرض فهمها المتفائل لحال الثقافة في اليمن مدفوعة بالحماسة التي أثارها النجاح الكبير في جمع الأدباء والكتاب اليمنيين في وقت مبكر من سبعينات القرن العشرين، في وقت كانت فيه الجمهورية في صنعاء ما تزال تستكشف الخطوات الأولى على طريق الاستقرار والبناء بعد توقف حرب الدفاع عن الجمهورية، وكانت عدن ما تزال تبحث عن طريق آمن لبناء تجربتها الحالمة بعد صراع مرير مع المستعمر ومع

---

[221] انظر افتتاحية عمر الجاوي للعدد الثاني من الحكمة، افتتاحيات الحكمة، ص. 13.

[222] افتتاحيات الحكمة . مختارات 1971 . 1989، ص. 8.

القوى المعارضة للنظام. فشكَّل اجتماع زُبدة المثقفين اليمنيين لصياغة رؤية مشتركة لمسيرتهم اللاحقة روح هذا الدفاع المتفائل عن مساهمة المثقفين اليمنيين في حركة الثقافة العربية، والتغلُّب على جميع علامات القصور التي ينبغي العمل لتجاوزها.

لكن الافتتاحية لم تلبث أن وجدت نفسها في مواجهة حقيقة التخلف الشديد الذي عاشته اليمن في مملكة الظلام، فتعترف بأن ما سمته "التمرُّد باليراع"، وتقصد به التحدي الذي واجه به الأدباء المستنيرون نظام الطغيان، لم يسمح بصدور إنتاج ثقافي مطبوع، فلم يجد الإبداع اليمني "طريقه إلى المطبعة نتيجة لانغلاق الجلاد يحيى (حميدالدين) الذي صنع من صحيفة (الإيمان) مجرد وريقات صفراء طابعها المدح والتهليل لصاحب الجلالة. وحتى ما سمي ب–(البريد الأدبي) والذي هو مجرد نقل قصائد صنعاء إلى ذمار وتعز وبقية المدن في دورة تنتهي بصنعاء... دار في حلقة ضيقة من الشعراء فقط، أو قرئ في مقايل القات ولم يؤثر التأثير المطلوب إلا فيما يخص تبادل الخبرات الفنية والاطلاع على آخر إنتاج الشعراء من المناطق اليمنية"[223].

وقد جعلت افتتاحية العدد الأول من مجلة الحكمة الجديدة كل هذا الدفاع عن الإبداع في اليمن مقدمة لتبرير اختيار القائمين على المجلة أن تكون امتدادا لمجلة الحكمة القديمة ومواصلة لمسيرة التنوير التي بدأتها، لأن الحكمة القديمة لم تكن مجرد محاولة لتأسيس منبر ثقافي يعبِّر المستنيرون الأولون من خلاله عن طموحهم لنشر فكرة التغيير والإصلاح وتعرَّض للإجهاض والإيقاف قبل أن يبلغ أهدافه الثقافية والتنويرية النبيلة فحسب، بل كانت في رأي الافتتاحية "مدرسة من مدارس الفكر والأدب لا في اليمن وحدها، وإنما في العالم العربي كله"[224].

لكن افتتاحية العدد الثالث من المجلة تعترف من جديد بواقع أن الأجيال اليمنية "ظلت قرونا تعيش محرومة من الورود على ينابيع الفكر العربي" وأنه قد "مضى على شعبنا ردح من الزمن ظل فيه حبيس التجهيل والكبت والحرمان من التعرف على حضارته وأمجاده"[225].

---

[223] نفسه، ص. 9.

[224] نفسه، ص. 11.

[225] نفسه، ص. 18.

ويعود الجاوي، رئيس تحرير "الحكمة" ومحدد سياستها التحريرية وفلسفتها، للموضوع في افتتاحية العدد الرابع، في منتصف يونيو سنة 1971، بأسلوبه المتفائل الذي يخلط الحماسة بالحلم بالتغيير ويعكس ذلك في عنوان الافتتاحية "71(19) عام العطاء"، معتبرا ما حدث من تخلف ثقافي مجرد جَزر عابر فيقول "إنما هو المد والجزر الذي تصنعه الرياح في البحار ويحسره أو يدفعه الإنسان في المجتمعات. وكان فيما كان أن تناولت يد الجزر جزءً من حقنا في الزمن، فركدت مياه الفكر والأدب، أحيانا بفعل الطغاة، وتارة بحكم التخلف الحضاري المريع. على أن هذا الركود المصطنع لم يصبه العفن وإن بدأ الطحلب ينمو على سطحه، فلقد كانت ينابيع مقاومة التأسُّن تنبجس من قاع هذا الشيء الراكد... فلا غرابة، إذًا، إذا ما قيل إن مياه الخلق والإبداع قد ركدت في اليمن". لكنه يعود فيحكم على من يقولون إن ذلك التخلف قد انعكس في الإبداع الأدبي والإنتاج الثقافي بأنهم يكتفون بالنظر إلى السطح ولا يغوصون إلى الأعماق ومن ثم يصدر أغلبهم "أحكاما في أغلبها لا تدل إلا على اختيار السهل من أساليب البحث والتنقيب"[226]. ثم يعود في افتتاحية أخرى ليؤكد أن الجهل المُطبِق قد ساد "والأمية التي فرضت على شعبنا. وفي سنوات ما قبل الحرب (العالمية الثانية) وبعدها لم يكن للحرف المطبوع قيمة عملية، إلا في صفوف فئة صغيرة من السكان اتُّفِقَ على تسميتها بالمتعلمين. وكانت هذه الفئة محدودة في طبقة عليا من المجتمع اليمني. وكان الشعب بعيدا عن الفكر المدون والمكتوب، يعتمد على السماع في تثقيف نفسه"[227] وظل اليمن محروما من الإذاعة والندوات والمحاضرات والأحزاب[228].

ولعل من المناسب، احتراما للإطار الزمني الذي التزمت به هذه السطور، أن نتوقف عند العدد الرابع والعشرين من أعداد المجلة، وبه تكون "الحكمة" قد أكملت عامين من عمرها. وهي بهذه المناسبة تنزل من التحليق في سماوات القضايا النظرية، الفكرية والأدبية، إلى دنيا الصعوبات الواقعية التي تتحدث عنها لأول مرة، مثل شح مواردها، واضطرارها للاعتماد على تطوع الكتاب بإرسال مواد مجانية "دون حوافز"، وهو مورد يتضاءل بمرور الأيام، لأن الكتاب كائنات بشريه لها حاجات معيشية تضغط عليها وتجعلها تفضل الكتابة

---

[226] نفسه، ص. 21.

[227] نفس، ص 27.

[228] نفس، ص. 28.

لوسائل إعلام لها قدرات على دفع "الحوافز"، من إذاعة وتلفزيون وصحافة يومية وأسبوعية وشهرية. كما أن "الحكمة" تمتنع مبدئيا عن اللجوء لسوق الإعلان التجاري المحدود إلى درجة لا يمكن التعويل عليه حتى لو تنازلت عن قرارها الواعي بعدم إعطاء مساحة للإعلان التجاري. بإيجاز، كانت أزمة التمويل تؤرق القائمين على المجلة بعد سنتين من صدورها إلى درجة جعلتهم يعطونها حيزا من افتتاحية العدد الرابع والعشرين.

وعلى كل حال، لقد واجهت هذه المشكلة زميلتها مجلة "الكلمة" وجعلتها تضطر للصدور دون انتظام وأحيانا التوقف تماما. إنها مشكلة تواجه أي مشروع ثقافي جاد، كما أن سوق الإعلان في تلك الفترة، حتى لو تم التعامل معه، محدود ويعتمد أغلبه على المجاملات والرغبة في التدجين أكثر من اعتماده على الجدوى التجارية.